أسرار الرأي والرؤيا في كتاب التفسير البياني للقرآن الكريم لبنت الشاطئ

ومضات في العقيدة والأدب

أ.م.د. نفلة حسن أحمد / جامعة كركوك/كلية التربية للعلوم الإنسانية
م.م. شهاب أحمد سلمان الأعرجي جامعة الإمام الصادق(ع)/كركوك

المقدمة:

فإن مقتضيات العمل بضوابط الكتاب والسنة مرهونة بمعلومية وثقافة من يكتب فيهما ويدلي بآرائه وأفكاره استناداً على الحجة والدليل، فضلاً عن لبوس المنطق المقنع للعقل والمخاطب للعاطفة، ولا سيما إذا كان الأمر متعلقاً بأجمل ما يستفيض منه المرء في ضوء تدبره أسرار بيان المنزل وإعجازه.

ولا يختلف صنوان في أصل الرجوع إلى القرآن الكريم ،هذا الكتاب المعجز من حيث الإقناع بالإلوهية والربوبية وأحقية الإيمان بالأسماء العظمى والصفات العلا ، بل إن الاغتراف من نهل السور والآيات الواردة فيه سواء ما تعلق منها بالعقيدة الموافقة لخطاب العقل ، أو بالأدبية الموازية لخطاب القلب، كله في إطار المعين الذي لا ينضب، والسراج الذي اهتدى إليه العجم والعرب على حد سواء نصاً وشرعاً ولغة ومحاججة، فكان لا مناص أمام مَن عاند وتكبر أو تجبر إلا الاستسلام إلى الإيمان به والخضوع لفهم دلالاته، والتنحي عن الوقوف أمام موجات عظمته العتية وأحكامه الشرعية الخاصة بالإنسان وقضايا عصره وظروف زمانه ومكانه، ولعل من أشد أسرار إعجازه أن الكتب المفسرة والبحوث التي تناولت موضوعاته وقصصه المتنوعة ما فتئت منسابة انسياب السيل من أعالي الجبال ، وإذا كان في ذلك ما يؤيد الرأي ويعزز الدليل على ان اللغة المتقنة التي نزل بها من عنان السماء هي لغة مكرمة قبل كل شيء، ولغة لها أهلية الحق بتقدمها على غيرها من اللغات ، فكيف بها وهي تمتلك زمام التحدي والقوة التعبيرية المصانة والمحفوظة من التحريف والتبديل! الأمر الذي جعل باب التأويل والتفسير مفتوحا على مصراعيه أمام علماء كل عصر ليثبتوا لنا على مدى الأجيال أن هذا الكتاب شكله اللغوي ثابت ودلالته ومعانيه

مفتوحة للأذهان ولأولي الألباب.

من هنا وقع اختيارنا على كتابٍ كان له فضلُ التميز في تبيان أسرار القرآن الكريم بيانياً آخذين بنظر الاعتبار حداثة التفسير المواكب لمتطلبات البشر في المنهجية والتطبيق وفهم دلالات الألفاظ واستعمالاتها السياقية، فكان لهذا الكتاب طبعات متعددة أسعفت رغبتنا في الوقوف على محطاته الدراسية في مجال ذكر العقيدة والأدب.

وقد انقسمت خطة البحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: هوية الكاتبة ومنهجية الكتاب

المطلب الثاني: جماليات اللمسة البيانية في قصار السور

المطلب الثالث: أسرار الاستعمال اللغوي للمفردة القرآنية

المطلب الأول: هوية الكاتبة ومنهجية الكتاب

أولاً: هوية الكاتبة

بنت الشاطئ هي عائشة محمد علي عبد الرحمن المولودة سنة ١٣٣٠هـ _ ١٩١٣م في مصر /دمياط، مفكرة وكاتبة مصرية وأستاذة جامعية ، قولبت فكرها حول دراسة النص القرآني وهي أوّل امرأة تحاضر في الأزهر الشريف، كما أنها أوّل امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية ، فضلاً عن ريادتها بالصحافة في مصر وبخاصة في جريدة الأهرام. كانت نشأتها دينيةً بحتة، فأبوها عالمٌ أزهري كان مدرساً بالمعهد الديني بدمياط ، وجدّها لأمها شيخٌ أزهري كذلك ، وقد تلقت تعليمها الأول في كُتّاب القرية فحفظت القرآن الكريم، ثم أرادت الالتحاق بالمدرسة لكنّ رفض والدها حال دون ذلك التزاماً بتقاليد الأسرة وعاداتها ، وقد بدأ يظهر تفوقها ونبوغها في تلك المرحلة على الرغم من أنها كانت تدرس في المنزل[١]؛ وربما كان هذا النبوغ هو السبب الرئيس في تغيير رأي والدها والسماح لها بإكمال دراستها العلمية، فضلاً عن تدخل والدتها في الأمر.

وكانت أولى الشهادات التي حصلت عليها الكاتبة هي شهادة الكفاءة للمعلمات عام ١٩٢٩ ، إذ كان ترتيبها

الأول على القطر المصري، ثم بعد ذلك حصلت على الشهادة الثانوية لتلتحق بجامعة القاهرة وتتخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٣٠، ثم نالت شهادة الماجستير بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤١م، وبعدها حصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٥٠م[٢].

من أبرز ما تميزت به بنت الشاطئ أنها كانت نموذجاً للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفسها من خلال الإسلام ، فمنذ نعومة أضفارها وهي طفلة صغيرة على شاطئ النيل في دمياط إلى أعلى لقبٍ علمي في التفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، واستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس بمصر ، واستاذٌ مطلع على الدراسات القرآنية في جامعات عدة من خلال زياراتها المتوالية لجامعة أم درمان ١٩٦٧م وجامعة الخرطوم وجامعة الجزائر وجامعة بيروت عام ١٩٧٢ ، وجامعة الامارات عام ١٩٨١، وكلية التربية للبنات في الرياض عام ١٩٧٥_ ١٩٨٣م؛ ولا شك في أن نشاطها العلمي المواكب لقراءاتها المستفيضة وحبها لدينها الحنيف ورحلاتها المتواصلة لصروحٍ علمية متنوعة جعل منها كاتبةً متميزةً في ميدان التفسير البياني للقرآن الكريم.

وفيما يخص مؤلفاتها التي أثْرَتْ مسيرتها وأغنت هويتها العلمية والعملية أنها تركت وراءها أكثر من أربعين كتاباً في الدراسات الفقهية والإسلامية والأدبية والتاريخية، ساعدها في ذلك اشتغالها في ميدان الصحافة وبروزها فيه منذ عمر ١٨ عاماً، ومن أبرز تلك المؤلفات هي[٣]:

- التفسير البياني للقرآن الكريم وهو أميز كتبها وأشهرها بين القراء
- القرآن وقضايا الإنسان
- تراجم سيدات بيت النبوة
- الشخصية الإسلامية: دراسة قرآنية
- الخنساء الشاعرة العربية الأولى
- مقدمة في المنهج ، وقيم جديدة للأدب العربي
- على الجسر: سيرة ذاتية سجلت فيه أجزاء من سيرتها الخاصة وكتبته بعد وفاة زوجها أمين الخولي

- بأسلوبها الأدبي
- بطلة كربلاء وهو عن السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام
- بنات النبي
- سُكينة بنت الحسين
- أرض المعجزات رحلة في جزيرة العرب

ومؤلفات أخرى متنوعة بين تحقيق الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات بالإضافة إلى الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية.

وكما ذكرنا فيما سبق أن مجال التأليف والإبداع فيه جاء عقب اشتغالها بكتابة المقالات الصحفية منذ سنٍ مبكرة ، فكان لها مقالٌ طويلٌ أسبوعي في جريدة الأهرام التي تعد اعرق الجرائد العربية ، وهي تُعد ثاني امرأة تكتب في هذه الجريدة بعد الأديبة مي زيادة ، وظلت كتاباتها المقالية مستمرة حتى آخر أيام حياتها في عام ١٩٩٨م ، وكانت خاتمة مقالاتها مقال بعنوان (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) وهو استكمال لسلسة طويلة من المقالات التي تناولت فيها سير آل البيت عليهم الصلاة والسلام ومقاتل الطالبين ؛ مما جعلها تحظى بمكانة رفيعة في أنحاء العالم العربي والإسلامي(٤).

بقي أن نذكر أن لقبها (بنت الشاطئ) جاء نتيجة تفضيلها لاسم مستعار توطد فيه علاقتها مع قرّاء مقالاتها الصحفية التي كانت تكتبها في جريدة الأهرام وخوفاً من إثارة حفيظة والدها، فكانت توقع باسم بنت الشاطئ أي شاطئ دمياط الذي ولدت فيه وعشقته في حياتها الأولى(٥)؛ وبذلك أصبح هذا اللقب رديفاً لاسمها في أي محفلٍ أو ندوةٍ أو مؤتمرٍ تحضر فيه ، بل إنه ما برح ملازماً لشخصها وثقافتها حتى بعد مماتها.

وقد وقع اختيارنا على مُؤلَفِها المتميز (التفسير البياني للقرآن الكريم) بناءً على ما وجدنا فيه من تمازجٍ ثقافي يجمع في طياته بين قلمها الأدبي وفكرها العقدي، وهو ما سنبينه لاحقاً

ثانياً: منهجية الكتاب

بدْءاً، اقتصر الكتاب على تناول السور الخاصة بالجزء الثلاثين ما عدا سورة القلم الواردة في الجزء التاسع

والعشرين، وقد كان تصنيف السور مكياً سوى سورة (الزلزلة)، وللكاتبة رأيها الخاص في هذا الاختيار، وهي توضح ذلك بقولها:"أتجه بمحاولتي اليوم إلى تطبيق المنهج في تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع وأكثرها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية ... وقصدت بهذا الاتجاه إلى توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير ومنهجنا الاستقرائي الذي يتناول النص القرآني في جوه الإعجازي ، ويقدر حرمة كلماته بأدق ما عرفت مناهج النصوص من ضوابط ، ويلتزم دائماً قولة السلف الصالح: "القرآن يفسر بعضه بعضاً " _ وقد قالها المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغاً _ ويحرر مفهومه من العناصر الدخيلة والشوائب المقحمة على أصالته البيانية"(٦).

وتناولت الكاتبة في الجزء الأول السور الآتية: سورة الضحى ، سورة الشرح ، سورة الزلزلة ، سورة العاديات، سورة النازعات ، سورة البلد ، سورة التكاثر.

ما الجزء الثاني من الكتاب فقد استوفى السور الآتية: سورة العلق، سورة القلم ، سورة العصر، سورة الليل، سورة الفجر ، سورة الهمزة ، سورة الماعون.

ويذهب أهل العلم إلى أن التصنيف المكي مختص ببيان العقيدة الإسلامية ورد الشبهات الموجهة إليها(٧)؛ ولهذا يهرع الذهن إلى التصور العقدي؛ لما في السور المكية من أمور دالة عليها تقتضي الإيمان فكرا وقلبا بها، حيث " العقيدة: هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال، هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس"(٨).

ومن نافلة القول ان كل ما يمس المشاعر والأحاسيس تتبناه كلمة (الأدب) بمعناها الواسع الكبير؛ ولهذا نجد أن بنت الشاطئ طبعت بقلمها المتخير للتنزيل المكي لمساتها البيانية الجامعة بين المضمارين.

أما ما يخص سورة الزلزلة فمع أنها مدنية النزول، إلا أن آياتها الكريمة تناولت الجانب العقدي كذلك ؛ لأنها أجملت علامات قيام الساعة ، وهو جانب لا يألو درجة عن الإيمان بالعالم الآخر الذي استظهرت

سورة الزلزلة بعض صوره الغيبية ، وأبانت مستحقات العمل الدنيوي على حسب ما يقتضيه الجزاء عليه.

ونظراً لاشتهار كتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم) بين القراء فقد جاء بطبعات متعددة، أولها كان في سنة ١٩٦٢ ووضعت الكاتبة مقدمة لكل طبعة منها.

وكان التطبيق المنهجي لدراسة القرآن الكريم وبيانه الاعجازي هو الهَدْي الأسلوبي الذي اتبعته في قراءاتها للسور القرآنية المذكورة أنفاً. تقول الكاتبة : " كُنت أجد في هذا القرآن النبع السخي الذي أنهل منه كل ما دعيت إلى الجامعات العربية أو المؤتمرات الدولية والمواسم الثقافية"[٩]. إذاً فحبها لدينها واعتزازها بعقيدتها الإسلامية جعلها تتمعن في سور القرآن وتتجه إلى فهم إعجازه البياني وتذوق أسراره البلاغية منتهجة سبيل أستاذها وزوجها (أمين الخولي) في كتابه الجليل (مناهج تجديد) الذي لخصت ضوابطه المنهجية بالآتي[١٠]:

١_ التركيز على التناول الموضوعي للمراد فهمه من كتاب الإسلام ، وهو ما يقوم على النظر في كل ما جاء في الكتاب المحكم من سور وآيات يجمعها الموضوع المدروس

٢_ ترتيب الآيات على حسب نزولها والإحاطة بما حول النص من ظروف الزمان والمكان مع الاستئناس بالمرويات للإحاطة بالقرائن التي لا بست نزول الآية .

٣_ فهم دلالات الألفاظ والوقوف على جمالية الاستعمال اللغوي للفظ من منظار أن العربية هي لغة القرآن ، والتماس الدلالة اللغوية الأصيلة هي التي تبين حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية.

٤_ الاحتكام إلى سياق النص في الكتاب المحكم لفهم أسرار التعبير فيه مع الأخذ بمجمل أقوال المفسرين وانتقاء ما يقبله النص بعيداً عن شطط التأويل واعتساف الملحظ.

وبالرجوع إلى الكتاب المذكور لأمين الخولي يتراءى للقارئ أنه شاملٌ وافٍ ، فشموله يتمفصل بين النحو والبلاغة والفلسفة والتفسير النفسي والمنهج الأدبي في تذوق النص وفهمه وتوجيه بيانه بحسب أسراره اللغوية والشرعية والإعجازية، ولا مناص من تأثر التلميذ بالأستاذ في لقاءاتٍ متناوبة ومكرورة، إذ يأخذ

كل واحدٍ منهما بتلابيب العلم والمعرفة والاختصاص الفقهي والعقدي والبياني ؛ وهذا ما شاكل بين شخصيتي الخولي وبنت الشاطئ.

ولا يولد الرأي أو تتكون الرؤيا إلا من خلال الجمع بين فني القول والعلة المؤكدة لأسراره وكوامنه، والاثنان يصبان في بوتقة اللغة المرتبطة بالحياة الاجتماعية أيما ارتباط ، يقول الخولي: " فكل من الشريعة واللغة مظهر قديمٌ من مظاهر حياة الجماعات البشرية، ثم اللغة من أقدم هذه المظاهر ... في تقدير أصحاب الاجتماع ، وهما متصلتان بالحياة العاملة اتصالاً وثيقاً، بل عنيفاً ، وربما كانت اللغة في هذا المعنى أشد وثاقة ، وأقوى ارتباطاً؛ لأن بعض التشريع قد يغني عنه القانون الخلقي ، ولا غنى لجماعة متقدمة – إلى الآن – عن اللغة ، والشريعة تنظم ناحية من نواحي معايش الناس على حين تتصل اللغة بكل النواحي"(١١).

وإذا كان الأمر بهذه الخطورة وبهذه الأهمية القصوى فكيف به إذا كانت اللغة التي نزل بها الدستور السماوي المنقذ للبشرية من ظلمات الجهل الفكري إلى أنوار المعرفة الكونية ، هي لغتنا العربية التي تكرمت بهذا التنزيل وسمت مكانتها وعلت مرتبتها كلما تعمقنا في أسرارِ سياقاتها وبلاغة تعبيراتها الجمالية في ظلال المعجزة البيانية الخالدة (القرآن الكريم).

وفي ضوء ذلك ارتكزت رؤيا بنت الشاطئ على الحقيقة الثابتة في قولها :"إن القرآن الكريم هو مناط الوحدة الذوقية والوجدانية لمختلف الشعوب التي اتخذت العربية لساناً لها ، ومهما تتعدد لهجاتها المحلية وتختلف أمزجتها وتتباين أساليبها الخاصة في الفن القولي يبق القرآن الكريم، في نقاء أصالته، كتابها القيّم الذي تلتقي عنده هذه الشعوب العربية اللسان، على اختلاف لهجاتها وأقطارها، وتفاوت تأثرها بالعوامل الإقليمية، كما تلتقي عنده كتاب عقيدة وشريعة ومنهاج"(١٢)؛ وهو ما يفند آراء المشككين وضعاف العقول القائلين بأن المعجزات تنتهي معية انتهاء أصحابها، إذ ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا كسائر البشر ، غير أن معجزته القرآنية ما برحت كتاب حياة لكل البشرية وفي كل زمان ومكان منذ عهده (عليه الصلاة والسلام) حتى يومنا هذا.

المطلب الثاني: جماليات اللمسة البيانية في قصار السور

لا يختلف اثنان في أن جماليات القرآن الكريم تكمن في لفظه ومعناه على حد سواء، فما يزدان به المستوى اللفظي مرهونٌ بعمق دلالاته وارتسام صوره المتكاملة باجتماع المستويين معاً، وما من مفاضلة تُحسب من دون النظر إلى كليهما، ولذلك فإن الرؤيا المؤولة لورود الألفاظ والتعبيرات القرآنية بسياقاتها المتعددة تقتضي النظرة الشاملة لنواحٍ لغوية متعددة ، وهي من بابٍ أَوْلَى تُعرّف –أي الرؤيا – بأنها " صيرورة واستيعاب في مدلوله شحنة من الحركة والشمول .. وأنها تتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية"[١٣] ؛ وهو ما ترتكز عليه أركان الملحظ البياني في أي جزء من أجزاء اللغة القرآنية ، وسيتضح ذلك فيما يأتي من شواهد تضمنتها السور القصار.

أولى هذه الشواهد ما جاء في باب القسم بـــ(والضحى) في قوله تعالى: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}، إذ تستهل السورة بالقسم بالواو، والرأي السائد عند الأقدمين، أن هذا القسم القرآني يحمل معنى التعظيم للمقسم به[١٤]، وممن ذهب الى ذلك ابن قيم الجوزية[١٥] ، والرازي في تفسيره[١٦] ، لكن مما اتضح لـ(بنت الشاطئ) أن ثمة خلطٌ في تبيان الحكمة من القسم في آية الضحى ، بل وفي أكثر آيات القسم بالواو كـ (الليل ، الصبح، الفجر، الشمس)؛ لأنه ما من شيءٍ من مخلوقات الله تعالى لم يخلق لحكمة ظاهرة أو خفية تخرج عن نطاق التعظيم بالمقسم به ، وهذا ما نصت عليه بقولها: " والذي اطمأننت إليه بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو، هو أن القسم بها يمكن أن يكون، والله أعلم، قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم، إلى معنى بياني، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له، لملحظ بلاغي. فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قوياً إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل، توطئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس، فالقسم بالواو في مثل (والضحى) غالباً، أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية، وما يلمح فيه من الإعظام، إنما يقصد به إلى قوة اللفت، واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف، وحين نتتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى، نجدها تأتي لافته إلى صورة مادية مدركة وواقع مشهود، توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة، غير مشهودة ولا مدركة "[١٧].

واستكناه مثل هذه الرؤيا لم يأتِ قيد الزعم بالمعرفة الوافية أو المخالفة لما قيل من آراء سابقة ، بل هو تقصٍ وتدقيقٍ في هذه المسألة التي اتضحت بشكلٍ أوسع من حيث أن " المقسم به في آيتي الضحى، صورة مادية وواقع حسي، يشهد به الناس في كل يوم تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجا وسكن دون أن يختل نظام الكون أو يكون في توارد الحالين عليه ما يبعث على إنكار، بل دون أن يخطر على با أحد، أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة، بعد تألق الضوء في ضحى النهار، فأي عجب في أن يجيء، بعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، فترة سكون يفتر فيها الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق "[١٨]، أي أن اللمسة البيانية ها هنا قائمة في الذهن عبر التقابل الصوري الذي تحاكيه الآي الكريمة (صورة الليل إذا غطى بظلامه بعد زوال النهار بضيائه) و(صورة فتور الوحي بعد تجلي أنوار نزوله).

وحين نأتي إلى سورة الشرح تستوقفنا جمالية اللفظ والدلالة في قوله تعالى: { فإن مع العسر يسرا *إن مع العسر يسرا} ، إذ كيف يتناسب التكرار هنا مع قصر السورة؟! ثم أن التكرار قد جاء مقترناً بالتأكيد بـ (إن) المسبوقة بـ(الفاء) و " في الفاء هنا، مع معنى الترتيب دلالة السببية، فهي تقرر مل يترتب على ما سبق بيانه من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، وهذا التقرير يأتي مؤكداً ب(إنّ)، ثم يقوى التأكيد فيه بتكرار الجملة مرتين نفياً للشك وتقوية للإيناس. والبلاغيون يعدون التكرار، من الإطناب الذي يزيد على المساواة، ويلفتنا من البيان القرآني، أن التكرار يأتي في قصار السور - ومنه القدر، والتكاثر، والكافرون، والناس - حيث لا مجال في مثلها لقول بالإطناب، ولا يكون التكرار إطناباً مع حاجة المقام إليه، وسورة الشرح قد نزلت مباشرة بعد الضحى التي جاءت على فترة من الوحي، فالتكرار فيها يرسخ في نفس المصطفى الطمأنينة إلى رعاية ربه عز وجل، ويؤنسه - صلى الله عليه وسلم-، إلى ما يستقبل من أمره"[١٩].

وفيما تقدم التفاتة جمالية إلى التناسب الخطابي بين السورتين من حيث النزول ومن حيث توافق الترتيب التوقيفي المتعلق بشأن ورود إحدى السورتين عقب الأخرى ، فضلا عما تضمنتهما من مناسبة السياق للمعاني الكامنة في دلالة الألفاظ المعبرة عن أدبية الخطاب القرآني، ولا سيما أن المخاطب هو نبي البشرية

ورسول الإسلام محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

ولنا وقفةٌ متمعنة عند شاهدٍ آخر في سورة النازعات وتحديداً في قوله تعالى: {هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالوادِ المقدس طوى} إلى قوله تعالى: { فأخذه الله نكال الآخرة والأولى * إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى} ، والذي تراه بنت الشاطئ هنا أن أسلوب القرآن احتوى القصة من دون التعريج على تفاصيلها ، إذ لم يذكر نشأة موسى وصلته الأولى بفرعون ، كما لم يتم تحديد تاريخ الأحداث ولا نوع الآية الكبرى التي أراها موسى لفرعون ، ولا نوع العقاب أو النازلة التي أخذه الله بها ، وإنما الذي عناه الأسلوب في عرض هذه القصة هو التركيز على موضع العبرة من دون تعلقٍ بما ليس هو من جوهر الموقف المحتوم بمصير الطاغية، ومما يتوافق مع ذلك هو أن عرض القصة بدأ بالسؤال اللافت المثير في قوله: { هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى}، وكأن (طوى) التي اختلف القراء في قراءتها تعطي دلالة طي كل ما كان من قصة موسى قبل هذا الحديث (٢٠) .

والملاحظ أنها – أي الكاتبة –ارتكنت في التعبير عن هذه الرؤيا البيانية للآيات الكريمة على أساسيات المعنى في كل قراءة للفظة المذكورة ، مع نظرة وافية لدلالاتها الإعرابية ؛ حتى خرجت بمحصلة نهائية تفيد بحجة التأويل الذي ذهبت إليه آنفاً.

أما في سورة البلد فنقف عند ما قيل من رأي في الترتيب الذي تضمنته الآيات { فك رقبة، أو اطعامٌ في يومٍ ذي مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة}، ومفاد هذا الرأي يوضحُ " هذا الترتيب لخطوات اقتحام العقبة ومراحل النضال من أجل صلاح الإنسان وخير الجماعة:بدأ بفك الرقبة، ولهذا البدء دلالته الصريحة عن أن تحرير الإنسانية من أغلال الرق هو أول خطوة في النضال الصعب من أجل الوجود الكريم الجدير بالإنسان، فليس شيء آخر بالذي يسبق رد الكرامة الآدمية للإنسانية. وكل إصلاح لخير البشر والمجتمع، إنما يأتي بعد أن نرد إلى الإنسانية اعتبارها المهدر بالرق، واستعمال الفك والرقبة، فيه ما فيه من إشعار بأن العبد المسترق مغلول الرقبة بقيد مهين يسلبه إنسانيته وينزل به إلى منزلة البهائم والدواب، وهو المخلوق الذي سواه الله بشراً حراً كريماً، فاستعبده مخلوق مثله، حَسِبَ لفرط غروره بقوته

وثرائه، أن لن يقدر عليه أحد!والآيات بعدها: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} هي آيات العدالة الاجتماعية، لتصحيح الأوضاع المادية التي أباحت وجود مقتدر ذي مال لبد، ويتيم جائع ذي مقربة أو مسكين ذي متربة. والقرآن يضع هذه العدالة الاجتماعية تالية لفك الرقبة، ويأتي بها في مساق البيان لاقتحام العقبة، مقدراً ما في تصحيح هذا الوضع الفاسد من صعوبة، وما يتطلبه من مجاهده ومكابدة "[٢١].

ومما لا شك فيه أن مبدأ العدالة الاجتماعية المشار إليه إنما يكون بتأدية الإنسان للسُبل الشرعية التي تنجيه من (العقبة)، إذ جاء في الحديث الشريف: "من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار عظم من عظام محررة بعظم من عظامه " [٢٢]، وقد جاء هذا الحديث بروايات متعددة تتفق في دلالة جزاء العتق، مما يقتضي رسوخ الإيمان في قلب المؤمن من أجل العمل به؛ لأن الجزاء -كما نعلم- هو أمر غيبي مستقبلي، والهدف المتوخى في الدنيا هو تحقيق حرية الإنسان الذي يقابل تحرره من أكبال النار في الآخرة.

ثم ان تشريع الإطعام لليتامى والمساكين من مال الأغنياء هو سبيل آخر لاقتحام العقبة، ودليل واضح على أن "الدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والإنصاف ...ولا غرو إن حل الدين من الأمة محل القلب من الجسد"[٢٣]؛ لأن ما وقر في سرائر الأول محكوم به الثاني.

وبإمكان القارئ النظر إلى الدلالة القرآنية الجامعة بين قوله تعالى : (ثم كان من الذين تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) في محصلة فك الرقاب وإطعام المحتاجين، وقوله تعالى في سورة العصر: (إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)، إذ ان اقتحام العقبة يتطلب الدخول في وفد الناجين من الخسر، والخسر هو كل ما"يتعلق بالنفس والمال والأهل والعمل، فهو خسر الدنيا والآخرة، وأكثر ما يكون الخسر يوم القيامة حيث يدرك الضالون أنهم خسروا الدنيا والآخرة"[٢٤].

إذن فعل النجاة الأخروي المتمثل في اقتحام العقبة والعدول عن الخسر هو طريق مشترك لتحقيق الضرورة الدنيوية القصوى من خلال تطبيق مبدأ التواصي بالتراحم والحق والصبر.

المطلب الثالث: أسرار الاستعمال اللغوي للمفردة القرآنية

تمضي بنت الشاطئ في تدبر البيان القرآني من خلال تأكيدها على المنهجية التي أوضحت ضوابطها في مقدمة الكتاب، وهي تقرّ بأنه بعد مضي خمس سنوات على ظهور الجزء الأول منه قد سايرت في الجزء الثاني ما عكفت عليه مسبقاً، ولنا أن نورد قولها النصي: "المنهج المتبع هنا، هو الذي خضعت له فيما قدمت من قبل، بضوابطه الصارمة التي تأخذنا باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله، التماساً لسرها البياني، وإذ نضع معاجم العربية وكتب التفسير في خدمة هذا المنهج، فإننا نحاول أن ندرك حسن العربية للألفاظ التي نتدبرها من النص القرآني، عن طريق لمح الدلالة المشتركة في شتى وجوه استعمالها لكل لفظ"[٢٥].

وفي واقع الأمر أن نماذج المفردات القرآنية واستعمالاتها بحسب السياق الواردة فيه توزعت بشكل وافٍ في الجزأين، مثال ذلك ما جاء في مادة اللفظ (ممنون) في قوله تعالى: (وإن لك لأجراً غير ممنون) سورة القلم الآية ٣، فمن الناحية اللغوية ترجع معاني المن في العربية إلى ما يوزن به، والمنون هو الموزون؛ لذلكتأتي المنة بمعنى النعمة ذات القيمة والوزن، ومنه قولهم: منَّ على فلان، أي أنعم عليه[٢٦]، ومن جميل الالتفات هنا الوقوف عند ما يميز المنّةعن النعمة، فـ"المنة هي النعمة المقطوعة من جوانبها كأنها قطعة منها؛ ولهذا جاءت على مثال قطعة، وأصل الكلمة القطع ومنه قوله تعالى:(لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع وسمي الدهر منونا ؛لأنه يقطع بين الالف، وسمي الاعتداد بالنعمة منّاً،لأنه يقطع الشكر عليها"[٢٧]، من هذا الباب تذهب بنت الشاطئ الى ما ذهب اليه (الراغب الاصفهاني) في كتابه (المفردات) من أن المن لا يكون في الحقيقة إلا من الله تعالى، ، كما لا يأتي المن إلا مسندا إليه عز وجل في سياق التفضل بنعمه على خلقه، وتذكيرهم بها. وقد تم التوصل الى ترجيح هذا الوجه بعد الاستقراء المتكامل لمادة (المن) في سور القرآن الأخرى ، كالذي جاء في الآية ١٦٤ من سورة آل عمران، والآية ٩٠ من سورة يوسف ، والآيتين ٥ و٨٢ من سورة القصص، والآية ٢٧ من سورة الطور، والآية ١١٤ من سورة

الصافات، ومعها آيات أخرى: الأنعام ٥٣، النساء ٩٤، طه ٣٧ ،إبراهيم ١١. أما إذا جاء السياق بدلالة النفي أو النهي فإن (المن) يكون مسنداً الى المخلوقين، ودليل ذلك الآيات في السور الآتية: المدثر ٦ ، الحجرات ١٧، البقرة ٢٦٢ و٢٦٤[٢٨]*.

ولعل هناك من يتساءل، لماذا عرّجت بنت الشاطئ على كل هذه السياقات التي تضمنت لفظ (المن)، في حين أن الآية في سورة القلم ذكرت لفظ (ممنون) ؟ إنها راجعت ذلك مع إشارتها الى التفاسير التي أبانت توجيه (غير ممنون) صوب معنى (غير مقطوع ولا منقوص) من أجل إثبات حجتين: الأولى أن ديمومة المنة مرتبطة بهذا المعنى لارتباطها بالأجر في سياق الآية، والأجر –كما نعلم- هو الثواب الممنوح من الله عز وجل لنبيه الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

والحجة الثانية هي تفنيد ما ذهبت إليه بعض التفاسير في توجيه سياق آية القلم الى ما يدل على الغلو والتعسف في حصر معنى الأجر بالجزاء على العمل فقط، ومن هذه التفاسير تفسير (الكشاف) الذي نص صاحبه بالقول : "غير ممنون عليك به ، لأنّه ثواب تستوجبه على عملك ، وليس بتفضل ابتداء ؛ وإنما تمنّ الفواضل لا الأجور على الأعمال"[٢٩]. ومثل هذا الكلام لا يصح ألبته ، وقد أنكره بعضهم.

فيما تقول بنت الشاطئ برأي مقنع : "نحتكم إلى القرآن الكريم، فيهدينا تدبر ما نقلنا من آيات المن، إلى أن الله تعالى أن يمن على عباده تفضلاً وتذكيراً بنعمه، وإنما يكره المن من البشر، حين يكون على وجه التعالي والمحاسبة. ولآية القلم نظائر في آيات:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} (فصلت ٨)(ومعها آيتا: التين ٦، والانشقاق ٢٥) ، وبها نستأنس في فهم آية القلم، فنطمئن إلى تفسيره بأنه أجر غير معدود ولا مشوب بما ينغضه، وليس على الوجه الذي ذهب إليه "الزمخشري"، فالله سبحانه وتعالى يمن على نبيه المصطفى وعلى عباده، تفضلاً وإنعاماً، وتنكير "أجر" يفيد الإطلاق، والتعميم غير المقيد بتعريف يخصصه"[٣٠]؛ وهذا –أي التنكير- دليل آخر على ان المنن التي يسبغها الله عز وجل بها علينا لا يمكن أن تُقيّد بعدٍّ أو إحصاء ، ومن بينها ذلك الثواب الذي لا يقابل الجزاء على العمل فحسب وإنما يشمل كل ما له صلة بكرم الباري سبحانه وتعالى وتفضله وإحسانه.

وتتجلى الوقفة البيانية عند لفظ آخر هو لفظ (يسري) المحكم ضمن سياق ما قبله في قوله تعالى : ((والليل إذا يسر)) سورة الفجر، الآية ٤ ، إذ تتفق المعاجم في توضيح معنى (السرى) في العربية على أنه مرتبط بزمانية الليل وظلمته[٣١]، ومن أشعار العرب ما يجسد هذا الارتباط فيما قيل[٣٢]: سَرى ليلاً خيالٌ من سُلَيْمى ... فأرّقني وأصحابي هُجودُ

ولا خلاف على ما يخص الدلالة اللغوية من حضور معنى الخفاء، إذ توضح ذلك صاحبة التفسير بقولها: "وربما كان أصل استعماله الحسي في السرى، وهو عرق الشجر دب تحت الأرض. لحظ فيه الامتداد مع الخفاء، فاستعمل في السرى لما في السير مدى الليل من خفاء، واختص السرى بالليل تمييزاً له عن عامة السير، والأصل أن الليل يُسرى فيه، فإسناد السرى إلى الليل في آية الفجر، من الإسناد المجازى، وهو في صنعة البلاغيين لعلاقة الزمان أي وقت السرى، لكنه في الفن القولي أعمق نفاذاً من ذلك الملحظ القريب المتبادر الذي تكتفي به الصنعة، إذ فيه تجسيم لليل وتشخيص وفاعلية، بحيث يتمثل كائناً حياً يسرى، وفيه كذلك إلباس للحدث بزمانه، فالليل نفسه يسرى كما يسرى فيه كل سار بليل ، وقد جاءت المادة في القرآن الكريم ثماني مرات كلها في سرى الليل، باستثناء آية مريم: {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} ٢٤، والمرات السبع في سرى الليل، كلها أفعال ، مرة للماضي في آية الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} ، وخمس مرات فعل أمر للوطٍ وموسى عليهما السلام بآيات: هود ٨١، الحجر ٦٥، طه ٧٧، الشعراء ٥٢، الدخان ٢٣"[٣٣].

ومن أصحاب التفاسير من يذكر في تفسير آية الفجر (والليل اذا يسر) بأنها ليلة المزدلفة والساري هو الحج ، وآخر يفسره بالمضي ، أي إذا يمضي، ومنهم مَن فسّر فعل السري بالإقبال والإدبار، وآخر تأوله بالظلمة على وجه الإطلاق مع جلالة التعظيم والتفخيم لهذه الظلمة؛ لأن الليل جاء في سياق القسم بتقدم الواو (والليل إذا يسر)[٣٤]، وتذهب بنت الشاطئ إلى أن "الحكمة الإلهية في كل ما خلق الخالق، لا فيما أقسم به بالواو فحسب ، وبمثل هذا الأسلوب يبلغ البيان القرآني غايته من الإقناع والإلزام بالحجة، وعلى نحو ما يجلو معاني من الهدى والضلال، والإيمان والكفر، والحق والباطل، بحسيات مدركة من النور والظلمة،

يجلو في سورة الفجر، بالضوء والظلمة في درجات متفاوتة، معاني من الحق والباطل: فالفجر إذ ينبثق نوره فينسخ ظلمة الليل، والهلال إذ يبزغ وليداً إثر المحاق ويمضى رويداً في دحر الظلام، والليل إذ يسرى ما بين بدء الظلمة ومطلع الفجر، كل هذا بيان لافت إلى صراع الحق والباطل، وإلى انبثاق نور الهدى بعد أن غشيت ظلمة ليل طال، ضلت فيه أمم وطغى طغاة وأفسدوا في الأرض، مثلما نشهد في الواقع المحسوس مسرى الليل ما بين إدبار النهار ومطلع الفجر"[٣٥].

وبهذا الرأي استوفت الكاتبة المعاني البيانية للآية المذكورة آنفا بمنأى عن التكلف وتقيد التفسير بمعنى واحد ، علماً أنها لم تزعم بما قالته إلا بعد اطلاعها على مجمل ما استوضحته من آراء سابقة لإدلائها، وهي تلفت النظر – قبل كل شيء-إلى الملاحظ البلاغية التي تفضي بالحجة والدليل إلى الإقناع في مواطن الجدل والارتياب.

وثمة ألفاظ كثيرة وقفت عليها موقف الدارس الجاد لكُنْه معناها السياقي، منها ما ورد في سورة الماعون في قوله تعالى: (أرأيت الذي يكذب بالدين) الآية (١)، فمعنى لفظ (الدين) لغوياً مردود على الطاعة والخضوع، ومن مشتقاته (الديان) بمعنى القهار أو الحاكم، وقد شاع استعمال هذا اللفظ في الدين الإسلامي على وجه خاص ، كما وردت آيات عدة تجسد معنى العبودية ، منها قوله تعالى: ((إن الدين عند الله الإسلام)) سورة ، وقوله تعالى: ((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)) سورة ، أما إطلاق لفظ (الدين) مقرونا بلفظ (يوم) على اليوم الآخر فقد ورد أربع عشرة مرة في القرآن الكريم[٣٦] . إذن هذا الاستقراء يبين الدلالة العقدية الكامنة في هذا اللفظ سواء ما تعلق منها بدين المرء وملته القاضية بعبادته، أو ما تعلق بيوم احتساب الجزاء على الأعمال في الآخرة.

وعند عودنا إلى آية الدين في سورة الماعون، نجد أن بعض التفاسير ترى ترجيح إحدى الدلالتين على الأخرى ، وتورد بنت الشاطئ ذلك ثم تذهب إلى ما يمليه السياق في الآية الكريمة، إذ تقول: "فسر الدين بأنه ثواب الله وعقابه (الطبري) ، واختار الزمخشري كذلك أن يكون بمعنى الجزاء. والأولى عند الرازي أن يكون بمعنى الإسلام، وهي أقوال متقاربة، وإن يكن حمله على الدين بمعنى العقيدة والإسلام، أقوى

عندنا، والله أعلم، من حمله على الحساب والجزاء؛ لأن التكذيب بهما لا يكون إلا عن تكذيب بالدين"[٣٧]، وهذا الوجه – كما يبدو- هو الأرجح منطقيا باعتبار تلازم المعنى الثاني بالأول ومن حيث ارتباط المسبب بالنتيجة.

ولنا إطلالة على رؤيا بيانية أخرى للكاتبة تتعلق بلفظ (المقابر) في الآية الكريمة (حتى زرتم المقابر) سورة التكاثر الآية ٢، إذ بالاستقراء تبين أن هذا اللفظ تحديدا لم يأت في غير هذا الموضع، في حين جاء لفظ (القبور) خمس مرات، ولفظ (القبر) مفردا في سورة التوبة ٨٤[٣٨]، والتساؤل وارد هنا على وجه الاستفهام عن سبب تخير لفظ (المقابر) من دون غيره؟

وترد الإجابة مفصلة في بيان ما يوضح ذلك:" قد تجد الصنعة البلاغية في استعمال المقابر هنا مجرد ملاءمة صوتية للتكاثر، وقد يحس أهل البلاغة، ونحس معهم فيها، نسق الإيقاع بهذه الفاصلة، فهل تكون "المقابر" في آية التكاثر لرعاية الفواصل فحسب؟

المقابر جمع مقبرة، وهي مجتمع القبور، واستعمالها هنا يقتضيه معنوياً، أنه اللفظ الملائم للتكاثر، الدال على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاع دنيوي فانٍ، ..حيث مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ودرجاتهم وأزمنتهم، وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول، لا يمكن أن يقوم بها لفظ (القبور) بما هي جمع لقبر، فبقدر ما بين قبر ومقبرة من تفاوت، يتجلى إيثار البيان القرآني (المقابر) على القبور، حين يتحدث عن غاية ما يتكاثر به المتكاثرون، وحين يلفت إلى مصير هذه الحشود من ناس يلهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلكم المقابر التي هي مجتمع الموتى ومزار الراحلين الفانين، فتأويل المقابر بالقبور، ليس إلا أثراً لتناول مفردات القرآن تناولا لفظياً معجمياً، مجرداً عن إيحاء سياقه وسره البياني، معزولاً عن الاستعمال القرآني الذي لم يجيء بالمقابر هنا لمجرد المشاكلة اللفظية والرنين الصوتي، وإنما هي الملاءمة المعنوية أيضاً بين التكاثر والمقابر بما فيهما من سعة وشمول وعموم، وهذا هو الإعجاز البياني يوجز رحلة الدنيا وعبرة الموت ونذر المصير، في أربع كلمات فحسب، تفجأ اللاهين في نشوة الدنيا، بصدمة {زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} ليس بينها وبين {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} إلا (حتى)، أداة

غاية"[٣٩]. ومن هذه الرؤيا البيانية تتماثل أمام القارئ أو المستمع للقرآن الكريم أنّ الدلالة الصوتية متوافقة تماماً مع الدلالة المعنوية وكلتاهما قائمتان على حسن اختيار اللفظ ودقته ، فضلاً عن أمورٍ أربعة تساير طبيعة رسم الكلمة وجرسها الإيقاعي وهي متمثلة في الآتي[٤٠]: ١_ التناسب بين المعنى وصفات الصوت ٢_ التناسب بين كلٍّ من زمنية الصوت والحدث ٣_ مناسبة صيغة اللفظ للمعنى ٤_ زيادة المبنى لزيادة المعنى.

وكل ما تقدم ذكره دالٌ على أن إيقاعية اللفظ القرآني تستدرك معاني السياق والمقام العام للسورة أولاً ثم توافق بين تلك البنى السياقية وبين انسجام أصوات اللفظ الواقع في نهاية الفاصلة.

الخاتمة

لا بد لكل عمل أكاديمي من خاتمة تبين أبرز ما استخلصه ذلك العمل من استنتاجات متعلقة بالموضوع الذي تناوله، ولنا أن نورد في هذا الجزء الأخير من بحثنا ما يأتي:

١-التدبر والتأمل في القرآن الكريم هما خير ما يفتح على ذهن الدارس آفاق التفكير بالدراسات القرآنية البيانية، وقد لاحظنا توفر هذا العامل بشدة عند صاحبة التفسير البياني (بنت الشاطئ)، الأمر الذي دفعها إلى التعمق في دراسة النصوص واستقراء ألفاظها وسياقاتها عن كثب.

٢- لا يأتي الإدلاء بالوجهة الشخصية للدارس أو ترجيح بعض الرؤى البيانية على بعض في التفسيرات إلا بعد الاطلاع الشامل والوافي على مجمل الآراء التي أفادت بوجهات نظرها المتفقة أو المتعارضة حول النص (محور الدراسة)، وهو ما وجدناه في كتاب التفسير البياني.

٣- تتطلب التأويلات الخاصة بالبحث في النصوص القرآنية مطالعة جوانب عديدة من شأنها أن تفتح على الذهن أبواب التأويل والتفنيد بالحجة والدليل، ومن هذه الجوانب قراءة علوم اللغة كالنحو والصرف والصوت والدلالة ، فضلا عن الإلمام بضوابط علوم البلاغة ، وهذه المنهجية قائمة الأركان في التفسيرات البيانية عموما ، وفي تفسير (بنت الشاطئ) على وجه الخصوص.

٤- مؤهلات القراءة الدلالية المتمحصة في النص وفهم أسرار التعبير هي من أجمل ما يضفي اللمسة

الجمالية على الرأي أو الآراء المطروحة.

٥- لم تسعفنا الكاتبة (عائشة عبد الرحمن) بدوافعها العلمية وربما الشخصية في كلتا المقدمتين الخاصتين بجزأي الكتاب عن سبب تأخر الجزء الثاني عن الجزء الأول منه، مع أن المنهجية في طريقة تناول النصوص موحدة.

٦- من أبرز ما تضمنه كتاب التفسير البياني هو أولوية الاحتكام إلى التفسيرات ومطالعتها مع الوقوف على حججها الموضوعية ، وهو ما يعزز الدليل ويكشف أسرار التأويل.

٧- اشتمل هذا الكتاب على تناول السور القصار عموماً، والدافع في ذلك حمّال أوجه، لعل أقربها الى المعرفة هو جذب الأذهان واستهواء البصائر إلى ما قلّ حجمه وفاض محتواه.

الملخص

يتناول هذا البحث الموسوم بـ(أسرار الرأي والرؤيا في كتاب التفسير البياني للقرآن الكريم لبنت الشاطئ) –ومضات في العقيدة والأدب- عرض منهجية التفسيرات التي تعنى بتبيان جمالية اللغة العربية واستعمالات ألفاظها وسياقاتها المتعددة في القرآن الكريم، ومن بين هذه التفسيرات وقع اختيارنا على أبرز ما ألّفته الكاتبة المصرية (عائشة عبد الرحمن) في هذا المجال، وهذا كتاب كان موضوعا لمحاضراتها في كلية الشريعة بفاس، وقد طبع بطبعات متعددة أومأت إلى مدى سر العطاء المعرفي الذي تضمنته تلك المحاضرات ، متخذة من كتاب (مناهج تجديد) لأستاذها أمين الخولي منهجاً تطبيقياً سارت على هَدْيه في توجيه النصوص القرآنية على وفق ما يرتضيه العقل ويتقبله القلب، وهي محاولة رائدة في تفسير القرآن الكريم وفهم إعجازه البياني بعيداً عن التكلفِ والمبالغة في التأويل.

والكتاب قائمٌ على جزأين موجهين لأغراض عقدية – أدبية تحتويها أربع عشرة سورة، في كل جزءٍ سبع سور قصار سوى سورة القلم ، وكلها مكية سوى سورة الزلزلة . وقد قامت خطة البحث على ثلاثة مطالب: جاء المطلب الأول بعنوان هوية الكاتبة ومنهجية الكتاب، وعرضنا فيه السيرة الشخصية والعلمية للمؤلفة، ثم عرّجنا على أبرز الضوابط المتبعة في تفسيرها البياني للسور، أما المطلب الثاني فقد جاء بعنوان

جماليات اللمسة البيانية في قصار السور ، وبيّنا فيه مجموعة من الشواهد القرآنية التي تتسم بتلك الجماليات ، ثم جاء المطلب الثالث تحت عنوان أسرار الاستعمال اللغوي للمفردة القرآنية ، وذلك من خلال السياقات الواردة فيه ومقامات الآي الكريمة التي تضمنت المفردة ، وأخيراً خرج البحث بخاتمة مستنبطة وملخصة أبرز النتائج التي تم الوصول إليها ، وحسبنا في كل ما تقدم من العمل بهذا البحث هو الوقوف على جلالة اللغة العربية التي كرمها الله تعالى بتنزيله الكريم فازدانت لفظاً ومعناً وتألقاً وبيانا حتى أصبحت لغةً لها أهلية الحق بتقدمها على غيرها من اللغات؛ لأنها قد اكتسبت قوة إلى قوتها، وامتلكت زمام التحدي والمنعة والحجة والبرهان.

الهوامش:

(١) ينظر: عائشة عبد الرحمن https://ar.wikipedia.org/wiki .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: عائشة عبد الرحمن https://ar.wikipedia.org/wiki .

(٤) عائشة عبد الرحمن https://www.marefa.org/.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٥، :١٨/١

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، حلب، ط١، ١٩٥٧، : ٢٠٨/١.

(٨) العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عبد الله عزام، http://www.al-islam.com: ١٠.

(٩) التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف، مصر، ط٥، ٢٠٠٥م، ٩/١.

(١٠) ينظر المصدر نفسه ١٠_١١.

(١١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي ، دار المعرفة، مصر ، ط١، ١٩٦١م: ٢٣.

(١٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن: ١٥/١.

(١٣) الاسلوبية الصوتية في بنية الخطاب اللغوي في النظرية والتطبيق، ماهر مهدي هلال، مجلة اللسان الدولية ، الكلية الجامعية للأم والعلوم الاسرية، الامارات العربية المتحدة ، العدد الأول، ٢٠١٧: ٢.

(١٤) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبدالرحمن، ٢٤/١.

(١٥) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت_ لبنان:٤٧.

(١٦) مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، على الرابط.http:lwww.altafsir.com:596

(١٧) التفسير البياني، ٢٥/١.

(١٨) المصدر نفسه، ٢٦/١.
(١٩) المصدر نفسه: ٦٨/١.
(٢٠) ينظر: التفسير البياني: ١٤٢/١_١٤٣.
(٢١) التفسير البياني: ١٨٦/١-١٨٧.
(٢٢) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر- بيروت ، ط١، ١٩٦٨ : ج٧/ ٤١ . وينظر: مختصر شعب الإيمان للقزويني، عمر بن عبد الرحمن القزويني أبو المعالي، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥، ٦٢.
(٢٣) الإسلام أصوله ومبادؤه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم،ط١، ١٤٢١ه ،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية: ج٧٥/١ .
(٢٤) التفسير البياني: ج٨٣/٢
(٢٥) التفسير البياني: ج٧/٢
(٢٦) المصدر نفسه: ج٤٨/٢.
(٢٧) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ط١، ٢٠٠٠: ج٥١٥/١.
(٢٨) ينظر: التفسير البياني: ج٤٨/٢-٤٩ .
* ارتأينا عدم ذكر نصوص الآيات من باب الاختصار.
(٢٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري،تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي – بيروت : ج٥٩٠/٤ .
(٣٠) التفسير البياني: ج٥٠/٢ .
(٣١) ينظر: تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ط١، ٢٠٠١م : ٣٨/١٣ ، ولسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر – بيروت ، ط١: ٣٧٧/١٤ ، ومختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة الجديدة ١٩٩٥: ٣٢٦.
(٣٢) الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني، دار الفكر - بيروت، ط٢ : ج١٤١/٦ .
(٣٣) التفسير البياني:ج١٣٢/٢-١٣٣.
(٣٤) ينظر: المصدر نفسه: ج٢/ ١٣٣.
(٣٥) التفسير البياني: ج٢/ ١٣٥ .
(٣٦) ينظر: المصدر نفسه: ج١٨٤/٢ .
(٣٧) المصدر نفسه: ج٢/ ١٨٤-١٨٥ .
(٣٨) التفسير البياني :ج١/ ٢٠٠ .
(٣٩) المصدر نفسه: ج٢٠١/١.
(٤٠) ينظر: الجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم، سامح القليني، دار الكتب، القاهرة، ط٥ ، ٢٠١٣م: مج ٤٥/١.

المصادر والمراجع

*الإسلام أصوله ومبادؤه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ط١، ١٤٢١ه ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

*الاسلوبية الصوتية في بنية الخطاب اللغوي في النظرية والتطبيق، ماهر مهدي هلال، مجلة اللسان الدولية ، الكلية الجامعية للأم والعلوم الاسرية، الامارات العربية المتحدة ، العدد الأول، ٢٠١٧.

*الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني، دار الفكر - بيروت، ط٢.

*البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، حلب، ط١، ١٩٥٧،

*التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت_ لبنان.

*التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

*تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ط١، ٢٠٠١م.

*الجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم، سامح القلينى، دار الكتب، القاهرة، ط٥ ، ٢٠١٣م.

*الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر- بيروت ، ط١، ١٩٦٨.

*الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ط١، ٢٠٠٠.

*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري،تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي – بيروت.

*مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة الجديدة ١٩٩٥.

*مختصر شعب الإيمان للقزويني، عمر بن عبد الرحمن القزويني أبو المعالي، تحقيق: عبد القادر

الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥.

*مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي ، دار المعرفة، مصر ، ط١، ١٩٦١م.

*لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر – بيروت ، ط١.

----- المقالات والكتب الاليكترونية---------

*عائشة عبد الرحمن https://ar.wikipedia.org/wiki

*عائشة عبد الرحمن https://www.marefa.org/.

*العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عبد الله عزام، http://www.al-islam.com:

*مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، على الرابط.http:lwww.altafsir.com:596